خواطر قرآنية

نور القرآن في زمن الظلمات

الجزء الاول – سورة البقرة

تأليف رائد الطويل

2025

المقدمة

حين تنظر إلى هذا العالم اليوم، تسمع ضجيجًا كثيرًا... لكنّك نادرًا ما تسمع **الحق،** ترى أعلامًا تُرفع، ودماءً تُسكب، وكلماتٍ تُباع وتُشترى ... وتبقى **الآية،** بصمتها الخاشع، **أصدق من كل الخُطب.**

في زمن تتكاثر فيه **الفتن، والخذلان، والاختراق الروحي** للأمة، تبقى **سورة البقرة** مدرسةً كاملةً ... لا تكتفي بأن تعلّمنا، بل تُحاسبنا، وتكشف زيفنا، وتُنير الطريق أمام أرواحٍ أرهقها الضياع.

من بني إسرائيل وتمردهم، إلى المنافقين وتزيينهم الباطل، إلى المؤمنين الصابرين في وجه الجوع والقتل والخذلان، تأخذنا هذه السورة في رحلة داخل **الضمير الإنساني،** وفي مواجهة بين **الحق الذي يُقاوَم، والباطل الذي يُزيَّن.**

هذا الكتاب ليس تفسيرًا، وليس سردًا فقهيًا أو درسًا أكاديميًا، بل هو **نداء قلب ... وصوت ضمير،** يحاول أن يقرأ الآيات **بعين العصر، ونبض الواقع، وحرقة القلب،** أن يرى فيها حال غزة، ودماء فلسطين،وسقوط الأقنعة في أرض الحرمين، وانكشاف الزيف الذي تزيّا بثياب الإصلاح.

هي **خواطر** خرجت من رحم الألم، لكنها مُطعَّمة بالأمل ... لأن هذا القرآن ما نزل ليُحزِننا، بل ليُوقظنا، ويُربّي فينا الرجاء ... ويُذكّرنا :-

أن كل جرحٍ نعيشه ... قد مرّ على من قبلنا، وأن **الطريق إلى الله محفوفٌ بالابتلاء، لكنه ممهّدٌ بالوعد الحق.**

فإلى كل من يؤمن أن القرآن ليس كتابًا نُزيّنه في الرفوف، بل منهجًا نُترجم به مواقفنا ومبادئنا... إليك هذا الكتاب، لعل في كلماته بُصْلة، وفي آياته حياة، وفي خواطره رجاءٌ لا يخبو.

والله وليّ الذين آمنوا ... يُخرجهم من الظلمات إلى النور.

رائد محمد الطويل

فلسطين – البيرة

دعوة للسلام الداخلي والتغيير الاجتماعي

من اية 1- 20

في عالمنا المعاصر ... حيث تزدحم الحياة بالضغوط والفتن ... وحيث تتشابك المصالح وتتراكم التحديات ... تبدو السبل إلى السلام الداخلي وكأنها بعيدة ... وفي خضم هذه الزحمة ... يظل القرآن الكريم بمثابة الضوء الذي يهدينا في ظلمات الحياة، ... كما جاء في قوله تعالى : "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين" ... هذه الكلمات تحمل في طياتها دعوة قوية للتأمل والتفكير في واقعنا وحقيقة مسيرتنا في الحياة.

نعيش اليوم في زمن يتزايد فيه التوتر النفسي والقلق ... حيث يجد الكثيرون أنفسهم غارقين في مشاكلهم اليومية ... يبحثون عن حلول ولكنهم غالبًا ما يغفلون عن أهم مصدر للراحة ... ألا وهو العودة إلى الله ... الآيات التي تتحدث عن المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ... تذكرنا بأن الطريق إلى الطمأنينة ليس محصورًا في مظاهر الحياة المادية ... بل هو في الإيمان القلبي والعمل الصادق ... في هذه الآيات نجد دعوة إنسانية عظيمة : أن نُسلم قلوبنا لله، وأن نسعى في إصلاح أنفسنا ... لأن التغيير يبدأ من الداخل.

الرسالة الإنسانية التي نستخلصها من هذه الآيات تتجاوز كونها مجرد دعوة دينية ... بل هي نداء اجتماعي وقلبي للعالم أجمع ... فكما أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون روح ... فإنه لا يستطيع أن يحقق السلام الداخلي دون أن يعزز إيمانه ويضع قيم الخير نصب عينيه ... عندما نُحسن استماعنا إلى الحق ... وعندما نعمل على إصلاح أنفسنا ... فإننا نساهم في بناء مجتمع أكثر انسجامًا وسلامًا ... في ظل الظروف المعقدة التي نعيشها ... يبقى الأمل في العودة إلى قيمنا الأصيلة ... إلى النور الذي لا يظلم أبداً.

فلنستمع لصوت القرآن في حياتنا اليومية ... ولنحاول أن نُحيي في قلوبنا مبادئ الإيمان والصدق ... حتى نصل إلى السلام الداخلي الذي يُنعكس بدوره على المجتمع بأسره ... في هذا الزمن الذي يُغرقنا في التفاصيل الصغيرة ... تظل القيم الكبرى هي التي تُمكّننا من النهوض والتغيير ... فهي التي تُعيد لنا الأمل في عالمٍ قد يبدو مظلماً.

برقٌ يكادُ يخطفُ الأبصار

من اية 20 - 25

في زمنٍ كثُرت فيه الفتنُ ... وتشابهت الوجوهُ ... وصار الباطلُ يزهو كأنّه الحقُّ ... نجدُ في آيات الله نورًا يكشفُ لنا أحوالَ القلوبِ المتقلّبة ... التي ترى الهُدى لكنّها تأبى أن تُبصره.

يقول الله تعالى في سورة البقرة :-

"يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارَهم كلَّما أضاءَ لهم مَشَوا فيهِ وإذا أظلمَ عليهم قاموا، ولو شاءَ اللهُ لذهبَ بسمعِهم وأبصارِهم إنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ" (البقرة: 20).

وهكذا هو حالُ كثيرٍ من النّاس اليوم ... يسيرون حيثُ يلمعُ البرقُ ... يُبهرهم ضوءُ اللحظة ... ولا يُدركون أنَّ العتمةَ تنتظرُهم عندَ أولِ التفاتة ... يفرحون بنورٍ زائفٍ ... لكنَّهم ما أن يخبوَ حتى يقفوا في الظلام ... حائرين تائهين ... لا نورَ هدى ولا بصيرةَ رشاد.

وفي كتاب الله صورةٌ أُخرى لحالهم :-

"وإذا قيلَ لهم لا تُفسِدوا في الأرضِ قالوا إنّما نحنُ مُصلِحون، ألا إنَّهُم همُ المُفسدون ولكن لا يشعُرون" (البقرة: 11-12).

أليس هذا واقعنا ... أناسٌ ينادون بالإصلاحِ ... وأيديهم ملطّخةٌ بالخرابِ ... يرفعون شعاراتِ الحقّ ... وقلوبُهم غارقةٌ في الباطلِ ... لكنْ كما قال الله تعالى :-

"اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" (البقرة: 15).

فما أتعسَ من خُدع ببريقٍ خادعٍ ... وظنَّ أنه يسيرُ في النور ... وهو في ظلماتٍ بعضها فوق بعض.

فيا نفس ... لا تغتَرّي بزيفِ الدنيا ... ولا تأمني لمكرِها ... وكوني مع الله يكن معكِ ... ففي ظلِّ هداه وحده ... لا يخطفُ البرقُ بصيرتكِ ... ولا تُضلّكِ الظلمات.

بين المثل والتمكين

من اية 26 – 30

يخبرنا الله في سورة البقرة :-

"إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ" (البقرة: 26).

كم مرة شكك البعض في حكمة الله وسننه في الأرض ... كم مرة رأينا من يستهزئ بآيات الله ... في حين أن فيها الهداية والفرقان لمن فتح الله بصيرته ... اليوم في زمن الفتن والتقلبات ... كثر الجدل حول ما يريده الله بهذه الابتلاءات التي تمر بها الأمة ... لكن المؤمن يدرك أنها سنن التمحيص ... وأن الله "يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا" ... ومن أعرض وزاغ ... فقد أضل نفسه.

ثم تأتي الآيات لتذكّرنا بالعهد الأول بيننا وبين الله:

"الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (البقرة: 27).

أليس هذا حال بعض الامم وبعض أبناء الأمة اليوم ... نقضٌ للمواثيق ...وقطعٌ لما أمر الله بوصله ... وفساد في الأرض يُلبَّسُ ثوبَ الإصلاح ... كم من حكامٍ وعلماء زيفٍ خانوا أماناتهم ... وظلموا شعوبهم ... ووالوا أعداء الأمة ... لكن الخاسر الحقيقي ليس المظلوم ... بل الظالم الذي قطع حبل الله ومدّ يده للطغاة.

وفي المقابل ... يأتي الوعد الرباني :-

"كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (البقرة: 28).

وكأن الآية تبشّر الأمة ... وتقول لها : قد تمرّون بفترات موت وضعف ... لكن الله قادر على إحيائكم ... فكما أنشأ الحياة من العدم ... فهو قادر أن يعيد للأمة عزتها من جديد!

ثم تأتي البشرى الكبرى ... تلك التي تحكي عن استخلاف الإنسان في الأرض :-

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة: 30).

هنا رسالة لكل من ظن أن الظلم سيدوم ... ولكل من يأس من التغيير ... الاستخلاف قادم ... الأرض ليست ملكًا للطغاة ولا للظالمين ... بل هي لمن سار على نهج الله ... فهل أعددنا أنفسنا لنكون أهلاً لهذا الاستخلاف ... أم تركناها لمن يفسد فيها ويسفك الدماء؟

يا أمة الإسلام ... لا تيأسي ... فإن مع العسر يسراً ... وإن بعد الموت حياة ... وإن وعد الله بالاستخلاف لا يتخلف ... ولكن لمن كان أهلاً لحمل الأمانة.

كرامة الإنسان بين تكريم الله ... وكيد الشيطان

من اية 31 - 36

علّم الله آدم الأسماء كلها ... منحه القدرة على الفهم ... الإدراك ... والتعبير ... وجعله سيدًا في الأرض بعلمه ... هذه الهبة الإلهية كانت إعلانًا بأن الإنسان ليس مجرد كائن يمشي على التراب ... بل هو خليفة الله في أرضه ... عقلٌ واعٍ ... وروحٌ أكرمها الله بنور الفهم والمعرفة.

لكنّ الملائكة تساءلوا : كيف لمن قد يفسد في الأرض ويسفك الدماء أن يُعطى هذا الشرف العظيم؟ ...وكان الجواب في العلم ... في تلك الأمانة الثقيلة التي حملها الإنسان ... ليكون مسؤولًا عن الأرض ... ينشر العدل ... ويبني ... ويهدي بكتاب الله ونوره.

في المقابل كان هناك من يحترق قلبه حسدًا ... إبليس الذي عصى أمر الله حين طلب منه السجود لآدم ...رفض بعجرفته ... ادّعى أنه خير من الطين الذي خلق منه آدم ... وكان ذلك أول درس في التاريخ عن الغرور ... أول حكاية عن الحسد الذي يعمي القلوب.

فلم يهدأ للشيطان بال ... وكاد لآدم وحواء حتى أخرجهما من الجنة ...لم يستخدم سيفًا ... لم يرفع عصا ... بل همس في قلوبهم ... أغراهم بالخلود ... زين لهم المعصية حتى بدت وكأنها خيرٌ لهم ... وهكذا بدأ صراع الإنسان مع الشيطان ... مع الغواية ... مع تلك الأصوات التي تهمس في أذنه كل يوم" : لماذا لا تأخذ هذا المال؟"، "لماذا لا تظلم هذا الضعيف؟"، "لماذا لا تتبع شهواتك؟"

واليوم ما أشبه الأمس باليوم ... لا يزال الإنسان يُكرَّم بالعلم ... تُفتح له أبواب المعرفة ... يُمَكَّن في الأرض ... لكنه في ذات الوقت يُبتلى بإغواء الشيطان الذي يلبس كل يوم ثوبًا جديدًا ... تراه في إعلامٍ يُزيّن الفساد ... في فكرٍ يحارب القيم ... في قلوبٍ تبرر الخيانة والكذب والظلم

فأيّ طريقٍ سنختار ... طريق التكريم والمعرفة ... أم طريق الغرور والضلال؟

الطريق بين النور والظلام

من اية 37 – 46

حين أخطأ آدم ... لم يُغلَق الباب في وجهه ... بل تلقّى من ربه كلمات ... كلمات ليست كغيرها ... كلمات فتحت له باب التوبة ... فأصبح أول العائدين إلى الله برحمته (البقرة: 37) ... ومن هنا بدأ الدرس الأول للبشرية ... أن الخطأ ليس النهاية ... وأن الحق يُعرف بالعودة إلى الله ... لا بالهروب منه.

لكنّ الصراع لم ينتهِ ... فحين نزل آدم إلى الأرض ... كان الصراع بين الحق والباطل قد بدأ ... وسُنَّت سُنّة الحياة ... "فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة: 38) ... فالهداية ليست مجرّد كلمات تُقال ... بل طريق يُسلك ... اختيارٌ بين نورٍ يُضيء الطريق ... وبين ظلامٍ يلتفّ حول القلب.

لكنّ هناك من يعرفون الحق ... ويرونه واضحًا كالشمس ... ثم يخلطونه بالباطل ... يلبسون الحق ثوب الزيف ... ويكتمون ما أنزل الله من الهداية (البقرة: 42) ... هؤلاء هم أخطر الناس على الأرض ... لأنهم يجعلون الظلام يبدو كأنه نور ... ويجعلون الباطل يبدو كأنه الحق ... تجدهم يرفعون شعارات العدل وهم أبعد الناس عنه ... يتحدّثون باسم الإنسانية وهم يمارسون أبشع الظلم ... ينادون بالقيم وهم أول من يطعنها من الخلف.

ألم نرَ في زماننا هذا من يحرف الحقائق ... من يلبس الظالم لباس الضحية ... ومن يبيع المبادئ بثمنٍ بخس ... ألم نرَ كيف أصبح الكذب مهارةً ... والتلاعب بالألفاظ فنًّا ... حتى صار الناس حيارى ... لا يميزون بين الحق والباطل؟

لكنّ الله يحذّرنا ... لا تكونوا كأولئك الذين يأمرون بالبرّ وينسون أنفسهم (البقرة: 44) ... لا تكونوا من الذين يحفظون آيات الله في قلوبهم ... ثم تضلّ أقدامهم في الطريق ... لا تركنوا إلى الزيف ... ولا تغترّوا بالمظاهر ... فالميزان عند الله واضح ... الحق لا يُباع ... والباطل مهما لمع، يبقى باطلًا.

واليوم الطريق واضح لمن أراد السير فيه ... إمّا أن تكون من أهل الهداية ... فتُميّز الحق وسط ضباب الباطل ... أو تكون ممن تاهوا في الخلط والتزييف ... فإلى أين يتجه قلبك؟

بين الجحود والغيرة ... دروسٌ لا تتغير

من اية 47- 64

يا بني إسرائيل ... يا من فضّلكم الله على العالمين (البقرة: 47) ... أعطاكم النعم ... أراكم من آياته ما لم يُرِ غيركم ... نجّاكم من بطش فرعون ... شقّ لكم البحر ... وأنزل عليكم المنّ والسلوى ... فما الذي صنعتم ... جحدتم ... تمرّدتم ... طلبتم غير الذي كُتب لكم ... وبدّلتم شكر النعمة بالاعتراض والتكبّر.

وحين جاءكم الأمر بالدخول إلى الأرض المقدسة ... وقفتم على أعتابها مترددين ... خائفين، ... وقلتم لموسى : "فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" (البقرة: 61) ... نسيتم فضل الله ... وخذلتم نبيكم ... فكان جزاؤكم التيه ... أربعين سنة في الصحراء، ... بلا وطن ... بلا قرار ... لأن من لم يحمل الأمانة ... لا يستحق الأرض.

لكنّ الأمر لم ينتهِ عند الجحود ... بل زادت الغيرة ... غِيرةٌ مما آتى الله غيرهم من النعم ... فحين بُعث النبي الخاتم ... لم يكن من بني إسرائيل ... بل كان من العرب ... من الأمّيين ... فاستشاطوا غيظًا ... وعرفوه كما يعرفون أبناءهم (البقرة: 89) ... لكنّهم أنكروا ... حسدًا وبغيًا ... وقالوا : لماذا ليس منّا ... لماذا نزل الحق على غيرنا؟

وها نحن اليوم ... نرى التاريخ يعيد نفسه ... أممٌ أكرمها الله ... ثم بدّلت النعمة كفرًا ... واستبدلت ماء العيون بماء المستنقعات ... ونور الحق بزيف الباطل ... وها هم في زماننا يقتلون ... يبطشون ... ويبرّرون ... ثم يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ... نحن الضحايا ... ونحن فوق الجميع!

لكنّ السنن لا تحابي أحدًا ... من بدّل نعمة الله كفرًا ... من خلط الحق بالباطل ... من اعتدى وظلم ... فسيأتي يومٌ يُسأل فيه عن فعله ... يومٌ لا تُشترى فيه النفوس بالمال ... ولا تُحرف فيه الحقائق بالإعلام ... يومٌ يُفرَز فيه الصادق من الكاذب ... والمظلوم من الظالم.

فانظر حولك ... وتأمل في التاريخ ... فمن سار في طريق بني إسرائيل ...كان مصيره مثلهم، ... تيهٌ في الأرض ... وضياعٌ في العقول ... وحجابٌ بينه وبين نور الحق.

التمرد والمماطلة ... بين الماضي والحاضر

من اية 65 - 75

حين أمر الله بني إسرائيل ألا يعتدوا في السبت ... لم يكن اختبارًا في الصيد فقط ... بل كان اختبارًا في الطاعة ... في القلب الذي يخضع لله دون تحايل ... لكنّهم لم يعصوا علنًا ... بل تحايلوا بخبثٍ ... ألقوا الشباك يوم الجمعة ... وجمعوا الصيد يوم الأحد ... ثم قالوا : "لم نعصِ الله ... فهل يُخدع الله؟

فجاءهم العقاب ... "فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (البقرة: 65) ... صاروا مثالًا لمن يبدّل أوامر الله بالألاعيب ... لمن يجعل الحرام حلالًا بالكلمات ... فكانوا مسخًا في الأرض ... قبل أن يُمسخوا في الأجساد.

ثم لما جاءهم أمر الله بذبح بقرة ... ماطَلوا ... جادلوا ... سألوه عن لونها ... عن سنّها، ... عن شكلها ... كأنهم يبحثون عن عذرٍ للهروب، ... لا عن سبيلٍ للطاعة ... ولو أنهم سمعوا وأطاعوا من أول وهلة ... لكان خيرًا لهم ... ولكنّ قلوبهم كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة (البقرة: 74).

واليوم نرى هذا المشهد يتكرّر في فلسطين ... في غزة ... في كل أرضٍ يُقهر فيها المستضعفون ... الظالم نفسه ... والطغيان نفسه ... والخداع نفسه ... يُبرّرون القتل باسم الدفاع ... ويبرّرون التدمير باسم الأمن ... يتحايلون كما تحايل أسلافهم يوم السبت ... ثم يقولون: "لم نعصِ الله ... لم نقتل ... لم نسرق ... لم نظلم ... جيش الاخلاق العالية"!

وفي المقابل هناك أمّة تُطالب بالحرية ... فتُسأل : ما لونها ... ما شكلها ... هل هي سلمية ... هل هي اسلامية ...هل هي مشروطة ... يماطلون كما ماطل أسلافهم في قصة البقرة ... يضعون شروطًا فوق شروط ... حتى يصبح الحقّ مستحيلًا ... وحتى تُستهلك الأوقات في الجدال بدلًا من الفعل.

لكنّ الله لا يغفل ... ولا ينسى ... من اعتدى في السبت ... ومن اعتدى في الأرض ... ومن سوّف في تنفيذ العدالة ... كلّهم في ميزان الله سواء ... وإن كان اليوم يوم التلاعب والتزييف ... فالغد يوم الحقّ والحساب ... والله لا يُخدع ... ولا تُمحى عنده الجرائم بالمبرّرات الفارغة.

بين العناد والإيمان ... طريقان لا يلتقيان

من اية 76 - 86

أليس غريبًا أن يعرف الإنسان الحق ... ثم ينكره ... أن يرى النور ... ثم يغلق عينيه ... هكذا فعل بعض بني إسرائيل ... كانوا إذا خَلَوا إلى أنفسهم ... قالوا :- "أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ" (البقرة: 76) ... أيخشون أن يُكشف زيفهم ... أن ينفضح تحريفهم ... لكنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم ... ويعلم أن ما يخفونه أشدُّ قبحًا مما يظهرونه.

ظنّوا أن الكتاب يُقرأ بالأهواء ... أن العهد يُباع بالمصلحة ... وقالوا في أنفسهم : "لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً" (البقرة: 80) ... يا لغرورهم ... وكأنّ النار مزحة ... وكأنّ العدل الإلهي قابلٌ للمساومة ... لكن الله لا يخدع ... ومن باع دينه بثمنٍ بخس ... اشترى لنفسه هلاكًا أبديًّا.

وفي المقابل هناك الصابرون ... هناك الذين تمسكوا بالحق رغم كل العواصف، ... هناك من لم تغرهم الأوهام ... ولم يبدّلوا العهد ... هؤلاء لا يخافون الأيام المعدودة ... لأنهم يعرفون أن النصر وعدٌ من الله ... حتى لو طال البلاء ... حتى لو استهزأ بهم أهل العناد والكفر ... حتى لو بدت الدنيا كلّها ضدّهم.

واليوم تتكرر القصة نفسها ... لكن بأسماء جديدة ... هناك من يحرّفون الحقيقة ... يقلبون الظالم مظلومًا ... ويظنون أنهم بمكرهم سيغيّرون سنن الله ... وهناك من يظنون أن عقابهم مؤجّل ... أن الظلم لن يُحاسَب ... فيتمادون ... يقتلون ... يسرقون ... يحاصرون ... ثم يقولون: "سنفلت من العقاب ... فالعالم معنا ... والقوة في صفّنا".

لكنّ المؤمنين الصابرين في غزة ... في فلسطين ... في الهند ...في كل بقعة من الأرض ... يعلمون أن الله لا يخلف وعده ... يعلمون أن الصبر ليس ضعفًا ... بل جسرٌ إلى النصر ... فكما انتصر الصادقون في الماضي ... سينتصرون اليوم ... مهما كَثُر حولهم العناد والتكذيب ... فمن أيّ الفريقين نحن ... من أهل التحريف والمماطلة ... أم من أهل الصبر واليقين؟

عبادة العجل ... بين الماضي والحاضر

من اية 87 – 100

كم مرة رأوا الحق بأعينهم ... وكم مرة كذبوه ... كم أُرسلت إليهم الآيات ... وكم مرة أعرضوا عنها ... وحين جاءهم النبي بالبينات ... لم يسألوا عن صدقه ... بل سألوا : "هل يوافق أهواءنا ... هل يخدم مصالحنا ... "فإن لم يفعل ... كذبوه ... أو قتلوه (البقرة: 87).

لكن العناد لم يكن مجرد تكذيبٍ للأنبياء ... بل كان عبادةً للأهواء ... يوم أن ذهب موسى إلى ميقات ربه ... لم يطيقوا الصبر ... لم يحتملوا الانتظار ... فأخذوا من الذهب عجلاً ... صنعوه بأيديهم ... ثم قالوا :– "هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ" (البقرة: 92) ... أي سذاجة هذه ... كيف يعبد الإنسان شيئًا صنعه بنفسه ... كيف يسجد لما لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا؟

واليوم يتكرر المشهد ... ولكن بثوبٍ جديد ... لم يعد العجل ذهبيًا ... لكنه صار دولةً كبرى ... سلاحًا جبارًا ... إعلامًا مضللًا ... بدل أن يقولوا :– "هذا إلهنا" ... قالوا : – "هذه حاميتنا ... هذه ملجؤنا ... هذه التي لا تخطئ ... هذه التي تُطعمنا من جوع وتؤمننا من خوف".

فصار حكام العالم الإسلامي والعربي يلهثون خلفها ... ينتظرون رضاها ... يخشون غضبها ... يتبعون أوامرها دون تردد ... حتى لو أحرقت بلادهم ...حتى لو دمرت أوطانهم ...حتى لو قتلت أبناءهم ...أليس هذا عبادةً في ثوبٍ جديد ... أليس هذا تكرارًا لما فعله بنو إسرائيل مع العجل؟

لكن كما فضح الله زيفهم يومًا ... سيفضح زيف هذا العجل الحديث ... وكما تحطمت أسطورة العجل الذهبي ... سيتحطم كل صنمٍ يُعبد من دون الله ... فالتاريخ لا يرحم العابدين للباطل ... ولا يبقي للمتخاذلين عزًّا ... ومن لم يتعلم من الماضي ... فسيلقاه مجددًا في صورةٍ أشد إيلامًا.

خيوط الكذب ومكر التاريخ ... لا تنتهي

من اية 101 - 120

منذ أن جاءهم الكتاب ... وهم يعرفون الحقيقة ... يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ... ولكنهم باعوها ... باعوها لحظةً رأوا فيها الحق لا يخدم مصالحهم ... ولا يُطيل سلطانهم ... ولا يُمكّن لهم في الأرض ... قال الله عنهم:-

"وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (البقرة: 101).

ما الذي يدفع القوم أن يكفروا بنبيٍّ بُعث بلسان الحق ... إلا الكبر والعناد والخوف من زوال الهيمنة ... هم لا يريدون نبيًا يُحيي القلوب ... بل نبيًا يُرضيهم ... وإن لم يكن منهم ... فهو مرفوضٌ مسبقًا.

ثم كانت الكارثة الكبرى ... تحالفوا مع النصارى ... وهم يعلمون أنهم لا يتفقون معهم على دين ...ولكنهم اتفقوا على عدوٍّ مشترك اسمه الإسلام ... قالوا :-

"لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ" (البقرة: 111).

ولأن الإسلام هزّ عروشهم ... وفضح نفاقهم ... قرروا أن يقفوا في وجهه بكل وسيلة ... أن يُطفئوا نوره ... أن يهدموا مساجده ... أن يُحاصروا دعوته ... لكنّ الله يأبى إلا أن يتم نوره.

واليوم في غزة ... في القدس ... في كل بقعة طاهرة ... تتكرر الحكاية ... يُهدم المسجد ... تُحاصر العبادة ... يُحرق المصحف ... يُقتل الإمام ... ويقف العالم متفرجًا ... وأحيانًا شامتًا.

يتحالف بعض اليهود والنصارى من جديد ... ليس حبًا في بعضهم ... بل كرها بالإسلام ... خوفًا من عودته ... من صحوته ... من قيامته من تحت الركام.

لكن رغم كل هذا الظلم ... الإسلام ينتشر ... يكبر ... يُقبل الناس عليه من حيث لا يحتسبون ... فما بال القوم ... يكيدون، ... يخططون ... ونسوا أن الله خير الماكرين.

والمؤمنون في غزة وفلسطين ... هم اليوم وجه الحقيقة ... هم المرآة التي تعكس زيف العالم ... وصبرهم شهادة على أن الحق لا يُهزم ... وإن طال عليه الليل.

فالخداع والكذب والتحالفات المريضة لن توقف نهر الإيمان ... ولن تطفئ شعلة التوحيد ... بل سيبقى وعد الله قائمًا :-

"وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ" (البقرة: 120)

فلا ترضَ عنهم ... ولا تساوم ... ولا تضعف ... فإنك على الصراط المستقيم.

دينٌ واحد ... وقلوبٌ تمزقها الأهواء

من اية 121 - 140

في زمن تتكالب فيه الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها ... وتُشوه فيه صورة الإسلام من أهله وعدوّه معًا ... تنبض آيات الله في سورة البقرة بحقائق لا يطويها الزمن :-

"ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ، أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ" (البقرة: 121).

المؤمن الحق ليس من يحمل الاسم ... بل من يحمل الرسالة ... من يتلو الكتاب بحقّ ... ويعمل بما فيه ... ويعلم أن الدين ليس شعارات ... بل عهدٌ مع الله لا يناله الظالمون (البقرة: 124).

وإن أكرم من حملوا هذا العهد هم الأنبياء ... كلهم بلا استثناء كانوا على دينٍ واحد ... دين الإسلام ... دين التسليم لله ... لا كما يقول المحرّفون ...هذا سني ... وهذا قومي ... وهذا عربي ... وذاك أعجمي بل قال الله :-

"مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًاۖ" (البقرة: 135).

ورغم وضوح الحق ... ترى المتآمرين على الإسلام اليوم يُقسّمونه ... يُفرّقون أمّته ... يرفعون قومية على حساب العقيدة ... ويستبدلون الولاء لله بولاءٍ للحدود، للحكومات ... وللخوف من سطوة العالم.

يُشوهون صورة الأنبياء ... ويُظهرونهم وكأنهم كانوا في صراع لا لقاء ... بينما هم جميعًا جاءوا بدعوة واحدة :-

"أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ" (البقرة: 131).

وها نحن اليوم ... بين أمّة مُحاصرة في غزة تقاتل وحدها نيابة عن الأمة ... وبين شعوبٍ تائهة ...مخدوعة ... جعلت ولاءها لغير الله ... فهانت بعد عزّ ... وتشرذمت بعد وحدة.

لكنّ وعد الله قائم :- "فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ" (البقرة: 137)

أي إن ساروا على درب الإسلام الصافي ... بعيدًا عن التحريف والمصالح ... عاد لهم مجدهم ... وعاد النور إلى قلوبهم.

فالحق واحد ... والدين واحد ... والأنبياء كلهم على صراطٍ مستقيم ... فإما أن نلتحق بقافلتهم، ... أو نُدفن تحت أقدام الغافلين الذين فرّطوا بالعهد.

"السفهاء يغيّرون وجوههم"

من اية 141 - 150

من أول الزمان ... والسفهاء هم السفهاء ... لا يعقلون ... ولا يفقهون ... ينبحون على الحق كلما سار في طريقه بثبات ... قالوا يومها عن تحويل القبلة :-

"ما ولاهم عن قبلتهم؟"

وهم ما سألوا لله ... بل سألوا حسدًا ... وغيظًا ... لأن النور لم يعد عندهم ... ولأن الله اختار أمةً غيرهم ليرفعها ... لكن الله سبحانه ردّ عليهم وقال لنا-:

"وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا"

أمة ما عبدت نبيها كما فعل النصارى ... ولا قتلت نبيها كما فعل اليهود ... أمة لا تغالي حتى تحرق ... ولا تفرّط حتى تنهار ... أمةٌ ميزانها الكتاب ... وقلبها معلّق بالله ... قبلتها من السماء ... ومقصدها العدل.

واليوم يعود السفهاء ... ولكن بربطة عنق ... وبصوتٍ ناعم في نشرات الأخبار ... وبصورة شيخ من شيوخ السلاطين يسألون:-

"لماذا تقاومون ... لماذا لا تتنازلون ... لماذا لا تتخلون عن دينكم ...ويهمسون في آذان الحكّام :- "اتركوا القضية فهي عبء"!

ويعرضون المال بدل الكرامة ... والمناصب بدل القدس ... والبقاء تحت حذاء أمريكا بدل البقاء في ظل الله!

فأمريكا اليوم تمارس السفه بكامل أدواته ...تدعم الظالم ... وتُدين المظلوم ... ترى المأساة في غزة ... وتقول إن من يدافع عن أهله "إرهابي ... "بينما القاتلُ يُمنح صكّ البراءة ... ويُعطى حقّ الدفاع عن النفس!

وإسرائيل كما قال الله ... قومٌ غلوا في الباطل ... وجفَوا عن الرحمة ... وكفروا بمواثيقهم ... حتى صارت أيديهم ملوّثة بدماء الأنبياء ... فكيف لا يُريقون دماء الأبرياء؟

لكن الله ما خذل هذه الأمة ...ولن يخذلها ...حتى وإن سُلب منها الحكم ... وضيّعها بعض أولي الأمر ... فهي أمةٌ حيّة ... كلما خمد فيها نور ... أوقده طفل في أزقة غزة ... أو شهيد على تراب القدس ... أو سجدةٌ في ليلٍ طويل في مخيم الشتات.

فلا تخشوهم ... واخشوا الله ...ولا تلتفتوا لقول السفهاء ... فإنهم باعوا أنفسهم ... وضيّعوا هويتهم ...أما أنتم ...فأنتم أمة الحق ... وأهل الوسط، وأنتم قبلةُ الحق ...وإن طال الليل ... فإن الفجر من قبلكم يُولد ... ومعكم لا يُهزم.

"نورٌ من الله في زمن البلاء"

من اية 151- 156

من رحم الرحمة ... أرسل الله إلينا رسولًا من بيننا ... بشرًا مثلنا ... يعيش وجعنا ... ويُزكّينا ويعلمنا كيف نحيا في زمنٍ كثرت فيه الفتن ... وضاعت فيه البوصلة.

"كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا..." (البقرة: 151)

فما أعظم النعمة ... أن يكون فينا رسولٌ يُذكّرنا بأن النور لا ينطفئ ... وأن الحقّ لا يُهزم ... وإن طال عليه الليل ...ثم يأتي النداء من ربّ العالمين :-

"فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ" (البقرة: 152)

ويا له من نداء عجيب ... كيف يُطلب من المكلوم أن يشكر ... ومن الموجوع أن يحمد ... لكنه الشكر الذي لا يصدر إلا عن قلبٍ يعلم أن كل بلاء من الله ... وأن بعد كل دمعةٍ، طمأنينة.

ثم يُهيّئنا الله لما هو آتٍ، فيقول :-

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ" (البقرة: 153)

فليس السلاح وحده سبيل النجاة ... بل الصبر أولاً ... والصلاة هذا الحبل الممتد من الأرض إلى السماء ... الذي يتشبث به المؤمن في لحظات الوجع والخذلان.

ثم يُنبّئنا بالحقّ المرّ ... لكنه مكلّل باليقين :- "وَلَنَبْلُوَنَّكُم"...

نعم سيُختبر الإيمان ... ويُمتحن الصبر ... وتُسفك الدماء ... وتُفقد الأحبة، ... ويُهدم البيت ... ويضيع الأمن ...لكن في وسط هذا الركام ... يخرج وعد الله:-

"وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ" (البقرة: 155)

نعم بَشِّرهم ... لا بالعافية العاجلة فقط ... بل برضا الله ... وبأنه معهم ... يسمع دعاءهم ... ويجمع دموعهم ... ويكتب لهم منازل الشهداء والصديقين.

وفي غزة اليوم ...حيث الألم يُكتب بالدم ... والمآذن تُهدم ... والبيوت تُقصف ... لا تزال أصوات الأطفال تُردد:-

"إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (البقرة: 156)

كأنّ أهل غزة نزلت فيهم هذه الآيات ... صبرًا وثباتًا واحتسابًا ...وفي العالم الإسلامي ... وإن خذلت الأنظمة ... فإن الشعوب ما زالت تدعو ... تبكي ... تُحيي القضية في القلب ... تُحييها كما تحيا الصلاة في ليلٍ حزين.

فيا من تقرأ هذه الآيات ... اعلم أن الصبر ليس ضعفًا ... بل هو مقام العظماء ...وأن البلاء ليس عقوبة ... بل ترفيعٌ في الدرجات ...وأن غزة اليوم تُعلّمنا كيف نكون من هؤلاء الذين قال الله عنهم :-

"أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ" (البقرة: 157)

فمن أراد أن يهتدي في هذا الزمن المعتم ... فلينظر إلى غزة ... ولينظر في قلبه ... هل فيه صبر ... هل فيه يقين ... هل فيه صلاة لا تنقطع ..؟؟

هنا يبدأ الطريق ... وهنا تُولد الأمة من جديد.

من سيحمي الباطلين؟

من اية 157 - 171

من "الصفا" إلى "المروة" ... نُسِجت خطوات أمٍّ تبحث عن ماءٍ لطفلها ... فخلّدها الله شعيرةً من شعائر الدين ... وقال:-

"إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ..." (البقرة: 158)

خطوات امرأة ضعيفة ... لكن بإيمانها صارت رمزًا للثقة بالله ... فأصبحت الشعائر لا تُقام إلا بها ...ثمّ ينقلنا الله من أرض الحرم إلى أرض القلوب ... ليُحدثنا عن فئة كتمت الحقّ :-

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا..." (البقرة: 159)

كتموه خوفًا من زوال جاه ... أو حرصًا على رضى سلطان ... أو طمعًا في فتات مالٍ من موائد الباطل ...ويا لكبر هذه الخيانة ...خيانة الكلمة ... وخيانة الأمانة ... وخيانة العهد الذي بين الإنسان وربّه.

وفي زماننا هذا ... كم من عالمٍ صمت عن الحق ... وكم من إعلاميّ زيّف الحقيقة ... وكم من نظامٍ عربيّ ... بدلاً من أن يرفع راية فلسطين ... رفع راية التطبيع ... وباع المبدأ من أجل "رضى الأمريكان"؟

لكن الله لا يغفل ... ولا يرضى بالكتمان ... فقال :-

"أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ" (البقرة: 159)

ثم يفتح الله باب التوبة ... لأن رحمته تسبق غضبه فقال :-

"إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا"...

فإن كنت قد كتمت ... فافضح الباطل اليوم ... وإن كنت قد هادنت ... فاصرخ بالحق اليوم ...

ولا تنتظر حتى يتبرأ منك من اتّبعتهم ... لأنّك إن أطعتهم في الباطل ... تخلّوا عنك عند الجدّ.

ثم يحذّرنا الله من الذين جعلوا المال والدنيا آلهة ... فقال :-

"وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ..." (البقرة: 165)

أندادًا ... مثل أمريكا ... أو الاحتلال ... أو الكراسي ... أو الشهرة ...عبدوهم من دون الله ... أطاعوهم في الظلم ... وسكتوا عن بطشهم ...لكن يوم القيامة؟

"تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا"...

سيقولون ... لسنا مسؤولين ... اذهبوا إلى الجحيم وحدكم ...وهنا نُدرك الحقيقة التي يجب أن لا تُنسى ...الباطل لا يحمي أحدًا ...وأمريكا التي يُرضيها البعض اليوم بخيانة القدس ... لن تدافع عنهم حين تسقط العروش ...وإسرائيل التي تشتري سكوتهم ... ستتبرأ منهم إن حانت الساعة.

أما الله ...فهو دائمًا مع من يُظهر الحق ... حتى لو كان وحده ...مع من لا يساوم ... حتى لو عُزِل ...مع من سار على درب الصفا والمروة ... بإيمانٍ خالص ... ولو لم يكن في يده غير دمعة.

فلا تكن من الذين قال الله فيهم :-

"صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" (البقرة: 171)

بل كُن من الذين صدحوا بالحق ... حتى لو ارتجف الصوت ...لأنك حينها ... لا تكون وحدك ... بل معك الله ... وربك لا يُخلف الميعاد.

من لقمةٍ طاهرة ... إلى أمةٍ ظاهرة

من اية 172 – 177

يبدأ الله هذه الآيات بنداءٍ مليء بالحب :–

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"...

يا من آمنتم ... يا من رضيتم بالله ربًّا وبالقرآن منهجًا ... اسمعوا :–

"كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ..." (البقرة: 172)

الطعام ليس مجرد لقمة ... بل هو بوابة القلوب ...فما دخل الجسد من حرام ... أظلم فيه القلب ... وتبلّدت فيه الفطرة ... وما أكل المرء من حلالٍ طيب ... رقّت نفسه ... وصفا قلبه ... وأقبل على الله بخضوع.

وفي زماننا اختلط الحلال بالحرام ...صار البعض يشتري طعامًا ملوّثًا بدم الأبرياء ... أموالٌ تأتي من التطبيع ... أو من بيع الأرض ... أو من التجارة بالمواقف ...ثم يقولون : هذا رزق ...والله يقول :–

"واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون".

فالعبادة ليست صلاة فقط ... بل لقمة لا تُظلم فيها يد ... ولا يُذبح بسببها ضمير ...ثم يُحذّر الله أهل الكتاب ... وكل من ورث علماً وسكت عن الحق :–

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ..." (البقرة: 174)

كم من عالِمِ اليوم يعرف الحق في قضية فلسطين ... ويسكت ...كم من داعية يُجمّل وجه الظالم خوفًا على نفسه أو منصبه ...كم من إعلاميّ يُموّه الحقائق ويبيع ضميره ..!!

"يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا"...

ثمنًا قليلاً ... لكنه عند الله عظيم ... لأنه ثمن الكلمة ... والضمير ... والحقّ ...ثم يأتي التهديد الصارخ :–

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ... أُوْلَئِكَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ"...

وما أصعبها من عقوبة ...أن يُحرم الإنسان من حديث الله ... من رحمته ... من نظره ...

لأنه باع دينه بعرض الدنيا.

لكن وسط هذا السواد ... يسطع النور ... في آخر الآية :–

"لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ..." (البقرة: 177)

البر ليس مظهرًا ... ولا طقوسًا شكلية ...البر هو إيمانٌ حيّ ... وعملٌ صادق ... وإنفاق في السِرّ والعلَن ...هو أن تقف مع المظلوم ... أن تُطعم الفقير من مالٍ حلال ...أن تُضحّي ... أن تصبر ... أن تصدُق ... أن تقول الحقّ حتى لو كنت وحدك.

وفي واقعنا ... ما أحوجنا لأن نُراجع ما نأكل ... وما نقول ... وما نكتم ... وما نشتري به رضا الآخرين ...لأن من باع دينه لأجل دنيا غيره ...سيُترك وحيدًا ... لا الله يُكلّمه ... ولا ضميرٌ يُنقذه ...بينما من أكل الحلال ... وقال الحق ... وثبت ... فهو مع الله ... والله لا يُضيّع أهله أبدًا.

حين يتكلم القصاص وتُصبح العدالة فريضة لا خيارًا

من اية 178 – 182

في هذه الآيات ... يُخاطبنا الله بلغةٍ لا تقبل المواربة :-

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ..." (البقرة: 178)

لم يقل "اختياري" ... لم يقل "حسب الظروف ... "بل "كُتِب" ... فُرض ... كُتب كما كُتب الصيام ... لأنه حياة ...القصاص ليس انتقامًا ... بل هو إحياءٌ للعدل ... وهو توازن يُعيد للدم المسفوك حرمة ... وللجراح المظلمة نور الحقّ ...ويختم الله الآية بقوله :-

"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ..." (البقرة: 179)

نعم حياة ...لأن الظالم حين يرى العدالة تُقام ... يُراجع نفسه ... ولأن المظلوم حين يرى حقه يعود ... يهدأ صدره ...فلا السيف وحده يُنهي الجريمة ... بل العدل، ... حين يُرفع كراية لا تميل لأحد.

ثم يأخذنا القرآن إلى الوصية ...الوصية التي تُكتب قبل الموت ... وكأنها مرآة للعدل حتى بعد الرحيل.

"كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ..." (البقرة: 180)

لأن الإنسان لا يُؤمن حقًا إلا إذا ترك وراءه كلمة حق ... وعدلًا يُكمل الطريق بعده ...فيها وصية للأقربين ... فيها عدالة بين الورثة، ... وفيها ذكر لله قبل لقاءه.

🔶 – وفي زمننا ... صرخات الدم ترتفع من غزة ... وصور الشهداء تملأ الدنيا ...أطفالٌ بلا مأوى ... أمّهات تحضن الجثث ... ومجازر تُبث على الهواء ...ثم نرى محكمة العدل الدولية تُمسك أوراقها المرتعشة ... وتُحاول أن تنطق بكلمة قصاص ...لكن هل يُسمع صوت الحق إن كانت أمريكا فوق القانون ...هل يُقام العدل إذا كان القاتل هو من يُمول القضاة؟

ومع ذلك القرآن يُذكّرنا ...القصاص حق ...وإن عُطّل في الأرض ... فالله لا يُعطله في السماء ... وإن كُتبت اليوم أوراق باطلة ... فكتاب الحق محفوظ ... والوصية هناك لا تُبدل.

فيا من تؤمن بالعدالة ... لا تنتظر من الظالم أن يُعطيك حقك ...ولا تتوهم أن محاكم الأرض تُغني عن محكمة السماء ...لكن لا تيأس فإقامة العدل تبدأ منا ... من وصيتنا ... من صدقنا ... من ثباتنا ...ومن إيماننا العميق بأن القصاص آتٍ ... وإن طال الطريق ...وأن فلسطين لن تظل بلا قاضٍ ... لأن رب العالمين قال :-

"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ"...

وسيحيا بها الأقصى ... وتحيا بها الأمة ... عاجلًا أو آجلًا.

صيام الجوع ... وصيام الكرامة

من اية 183 – 187

الله ينادينا بنداءٍ تهتز له القلوب :-

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ..." (البقرة: 183)

وكأن الله يقول لنا ... الصبر عبادة ... والجوع طاعة ... وكما جاع جسدك حبًا لله ... فسترتوي روحك بنور الله ...الصيام مدرسةٌ قاسية لمن يفهمه ...ليس فقط بالامتناع عن الطعام والشراب ...بل أن تتعلّم كيف تصبر ... كيف تتحمّل ألمك بصمت المؤمن ... كيف تكسر شهواتك لتكون عبدًا حرًا لا عبدا للهوى.

وفي غزة .. منذ أكثر من عام ونيف ...هم لا يصومون برغبتهم ... بل قهرًا ...لا طعام ... لا ماء ... لا دواء ...أطفالٌ تنام على الجوع ... وأمهاتٌ يُرضعن أطفالهن بدموعهن بدل اللبن ... وشيوخٌ يتوضؤون بالتراب ... وقلوبهم تسبح بحمد الله رغم الألم.

وفي سجون الاحتلال ... الأسرى يصومون صبرًا فوق صبر ...ينتظرون لقمة مغموسة بالكرامة ... لا بالذل ...يُمنعون من الزيارة، ... يُحرمون من الدواء ...لكنهم يُمسكون عن الشكوى كما يُمسك الصائم عن الطعام ...لأنهم يرون الحرية مع الله أثمن من طعام الأرض كلها.

ويقول الله في آياته :-

"شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ..." (البقرة: 185)

نزل فيه الحق ... والنور ... والدستور الذي يهتدي به المظلوم قبل الظالم ...فإن خان العالم كله غزة ... وخذل الأسرى كل العالم ...فالقرآن ما خانهم ...وكلمات الله معهم تُحييهم مع كل سجدةٍ وكل دعوةٍ خفية.

وفي وسط هذا الألم ...يُربّت الله على قلوبنا بلطف عظيم :-

"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ..." (البقرة: 186)

قريبٌ من الجائعين في خيامهم ...قريبٌ من الأسرى خلف جدران السجن ...قريبٌ من الأم التي دفنت أبناءها ... ورفعت كفيها تدعو ...الله قريب ... يسمع دبيب الجوع في بطون أطفال غزة ...ويرى دموع الحرمان ... ويُهيئ للمظلومين نصرًا لا يخطر على بال الظالمين.

وفي النهاية، يعلمنا الله الانضباط حتى في لحظات الفرج :-

"وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ..." (البقرة: 187)

أي لا تستعجلوا ... كما أن الفجر له وقت ... فإن النصر له ميعاد ...ومهما طال ليل الظلم ... فإن فجر الحرية قد اقترب.

فلتصم قلوبنا مع أهل غزة ...ولتجُع ضمائرنا عن خيانة الأسرى ...ولنثبت كما يثبتون ... حتى يأذن الله بفتح قريب ...وتعود الموائد عامرةً لا بالخُبز فقط ... بل بالكرامة والحرية والنور .

من أكل المال إلى أكل الدم ... ومن نصرة غزة إلى نجاة الأمة

من اية 188 - 195

يبدأ الله هذه الآيات بنداءٍ إلى الضمير :-

"وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ..." (البقرة: 188)

أي لا تسطوا على أموال الناس ... لا تسرقوا ... لا تحتالوا ... لا تُلبسوا الحق بالباطل ... لأن الله يعلم أن الفساد المالي هو أول سُلم السقوط الأخلاقي ...وحين يفسد المال ... يفسد الحكم ...وتُشترى الذمم ... ويُنسى المظلوم.

فـ كم من حاكمٍ كدّس المال وهو يرى الأطفال في غزة يموتون من الجوع ...وكم من مسؤولٍ باع المواقف مقابل أرصدة في بنوك الغرب ... وترك القدس وحدها ...كم من شركةٍ ضخّت أموالها في دعم الاحتلال ... وتربّحت من دماء الأبرياء؟

ثم يقول الله :-

"وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" (البقرة: 195)

لأن القتل ليس فقط بسكين أو بندقية ...بل بالصمت عن الظلم ...بالتطبيع مع القاتل ... بتجميل صورة السفّاح ...بأن تقف موقف الحياد حين تكون الحياة كلها على جهة ... والموت على الأخرى ...ويختم الله تلك التوجيهات العظيمة بنداءٍ يلخّص الواجب-:

"وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ"...

أي لا تجبنوا عن نصرة الحق ... لا تضيّعوا أموالكم في الدنيا وتبخلوا بها عن الآخرة ... بل أنفقوا ... ادعموا ... شاركوا ... قاوموا ...ليس فقط بالمال ... بل بالموقف ... بالكلمة ... بالدعاء ... بالثبات.

كل يومٍ تُستهلك فيه أموال الأمة في الترف ...هو يومٌ يُستهلك فيه جسد طفل تحت ركام بيته ... وكل لحظةٍ نصمت فيها عن مجازر الصهاينة ...هي لحظة يتجرّع فيها أسيرٌ في سجون الاحتلال مرارة النسيان.

وما أكثر "التهلكة" التي تُلقى فيها الأمة حين تترك المستضعفين وحدهم ...وحين يرضى بعضنا بالذل ...فيُقتل الأبرياء باسم التعايش ... وتُقصف غزة باسم "حق الدفاع ... "لكن القرآن يُعيد لنا البوصلة :-

"إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ"

الإحسان اليوم هو أن تنصر المظلوم ... أن تُنفق في وجه الظالم ...أن تبني المسجد ... لا أن تهدمه ...أن تقف مع فلسطين ... لا أن تُدين مقاومتها.

فلتكن هذه الآيات دستورًا لكل مؤمنٍ غيور ...أن المال أمانة ...والموقف شهادة ...والصمت خيانة ...وأن غزة ليست مجرد أرض محاصرة ... بل هي ميزان عدل الأمة ...فمن خذلها خذله الله ... ومن نصرها ... نصره الله.

بين شعائر الله وشعائر الشيطان

من اية 196 – 203

في هذه الآيات ... يأمرنا الله بإقامة نسك الحج والعمرة على أكمل وجه :–

"وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ..." (البقرة: 196)

تأمل كلمة "لله ... "فليست السياحة عبادة ... ولا الترف عبادة ...العبادة إخلاصٌ ... خشوعٌ ... خضوعٌ ...أن تطوف بالبيت وقلبك يطوف بالصدق ...أن تسعى بين الصفا والمروة وسعيك كله لله ... لا للرياء أو الفلاشات.

ثم يتحدث القرآن عن أيام الحج ... عن المشاعر المقدسة ...عن منى ... والمزدلفة ... والوقوف بعرفة ...عن التكبير بعد النحر ...عن ترديد اسم الله في كل ذِكر ...عن :–

"فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ..." (البقرة: 198)

لكن يا وجع القلب ... ننظر اليوم إلى أرض الحجاز التي كانت مهبط الوحي ومهد النبوة ...فإذا بها تُغنّي بدل أن تُكبّر ...وتُقيم الحفلات على أبواب الحرمين ...وتُرقّص الشباب بدل أن تُطهّر القلوب ...وتُبدّل أيام الذكر بأيام الضياع ... وتُمنع كلمة "فلسطين" في الخُطب ...بينما يُطلق الرصاص في السماء احتفالًا ... لا لأجل القدس ... بل لأجل مغنٍ مستورد!

وفي نفس اللحظة ...تعلو في الفضاء أصوات شتائم وفتاوى معلبة ...تُكفّر أهل غزة ...وتُخون أهل المقاومة ...وتُبيح دماء المرابطين باسم الدين الذي هم أولى به!

وهنا يقف القرآن موقف الصدق، ليقول :–

"فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا..." (البقرة: 200)

فهل أصبحنا نذكر الفن أكثر من الله ...هل نُعظم الحفلات أكثر من الحرم ...هل نُعلي صوت الأغاني فوق أصوات التكبير؟

ويُذكّرنا القرآن مجددًا بقوله :–

"وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا..." (البقرة: 200)

أناسٌ لا يفكرون إلا في المال ... الرفاهية ... الترف ...بينما هناك في غزة ... من يقول– :

"رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً"...

أناسٌ يُدعون إلى جبهة النار ولا يفرّون ...ويُقصفون ولا يُسلمون ...ويُجَوّعون ولا يركعون ... لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

فيا من بدلتم ذكر الله بالغناء ...وفتاوى النصر بفتاوى الخيانة ...تذكّروا أن يوم عرفة سيأتي ...وأن الله سيُفرز الصفوف ...وأن من خان الأقصى اليوم ... سيُفضح غدًا على جبل الرحمة!

"وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (البقرة: 203)

فليُراجع كل منا طريقه ... هل نحن ممن يُحيي شعائر الله ...أم ممن يزين شعائر الباطل في أرض الوحي وغزة تنادي ... والقرآن يشهد.

بين وجه الماكر ولسان المنافق

من اية 204 – 210

يأخذنا القرآن في هذه الآيات إلى مشهدٍ يتكرر كل يوم أمام أعيننا ... رجلٌ :-

"يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" – (البقرة: 204)

كلامٌ منمق ... صوت ناعم ... ووجهٌ يبتسم كأنه ملاك ...يتحدث عن السلام ... عن الإنسانية ... عن حقوق الإنسان ... ولكن خلف الستار ... هو ذئبٌ يفترس ... يدمر ...ويُفسد ... ويحرق.

"وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ"

يدّعي التقوى ... ويظهر الورع ... وربما يقتبس من الدين ألف آية ...لكن في قلبه سمٌ زعاف ... وفي يده سيف مسموم ...أليس هذا هو حال كثير من الأنظمة اليوم ..؟

يتكلمون عن السلام مع "إسرائيل ... "ويوقعون صفقات تطبيع ... ويحاضرون في محافل العالم عن التسامح ...بينما هم يغلقون أبواب المساجد ... ويمنعون كلمة "القدس" من المنابر ... ويخذلون غزة وأهلها.

ثم يقول الله :-

"وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا"...

هو لا يبني ... بل يُخرب ...لا يُصلح ... بل يُفسد ...لا ينصر المظلوم ... بل يسلمّه ... يفسد الفكر ... يُحرّف الإعلام ... يُنشر الفجور ... ويُجمّل الباطل.

ويكشف الله حقيقته :-

"وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ"

فكل من يتذرع بـ"الإصلاح" وهو يهدم الأخلاق ويُؤيد المحتل ...هو فاسد ... وإن لبس ألف قناع.

وفي المقابل ...يُظهر الله لنا وجه الحق :-

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ..." (البقرة: 207)

أولئك الذين باعوا راحتهم ومالهم وأمنهم ...واشتروا رضا الله ...هم المرابطون على أبواب القدس ...هم المقاومون في خنادق غزة ...هم الأسرى خلف القضبان ...هم الصادقون في زمن النفاق.

هؤلاء لا تلمع صورهم في الفضائيات ...ولا تُفتح لهم أبواب القصور ...لكن الله يُناديهم-:

"وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ"

ثم يوجهنا الله بقوله :-

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً... "

أي لا تتجزأوا ... لا تُفرّقوا الدين ...لا تقولوا نحن مسلمون في القلب ... ونتاجر بالدين في السوق ...السلم هو دينٌ كامل ... عقيدة وسلوك ...هو ألا تصافح القاتل وتطعن في المقتول ... هو أن تكون مع الحق دومًا ... لا حسب المصلحة.

وفي الختام :-

"هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ..." (البقرة: 210)

الحق قادم ... لا محالة ...والمنافقون مهما علت أصواتهم ... سيُكشفون ...وسينزل الغمام ... لا بالمطر ... بل بقرارٍ رباني ... يفصل بين أهل النفاق وأهل الإيمان.

فاختر صفّك ... هل أنت ممن يُعجبك القول ... أم ممن يبيع نفسه لوجه الله ...وغزة تكتب التاريخ ... فاختر لك سطرًا لا تخجل منه غدًا.

حين تُبدَّل النعمة ... يُرفع الغطاء

من اية 211 – 218

"سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ" (البقرة: 211)

كم آية أرسلها الله لقوم موسى ... آيات تكسرت فيها قوانين الطبيعة ... بحرٌ انشقّ ... غمامٌ ظلّلهم ... طعامٌ من السماء ... وعصا تُحيي الميّت ..!!

لكنهم قابلوها بالعناد والجحود ... ومع كل آية ... كانت قلوبهم تقسو أكثر ... وها هم أحفادهم في هذا الزمن ... يرثون العناد نفسه والجرأة نفسها على الحق ... لكن الفارق أن الأيادي التي أمسكت الحجارة قديماً ... تحمل اليوم صواريخ محرّمة وقنابل محرّقة.

فجّروا أجساد الأطفال ... ودكّوا المآذن على رؤوس الساجدين ... وجعلوا الأمهات الثكالى يودّعن أبناءهن في أكفان ممزّقة ... هم من بدّلوا نعمة الله كفرًا ... فأُخذوا من بين أيديهم ومن خلفهم ... وسُلبت منهم الكرامة قبل الأرض ... وباذن الله سوف يسلبون كما سلبت من قبل.

وفي المقابل ... هناك ميزان آخر ميزان المؤمنين ... لا يزن الناس بأموالهم ... ولا بجيوشهم ... بل بقلوبهم وأفعالهم ...هو ميزان الله الذي لا يحابي أحدًا ...ومن لم يزن الأمور بهذا الميزان ...تاه في دروب التزييف والزيف.

ثم تأتي الآيات تحسم الجدل:-

"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ"

لكن الخلاف وقع حين بغى الناس ...فاختلفوا لا عن جهل ... بل عن هوى ... فبعث الله الرسل بالحق ... ليعود الناس إلى أصلهم ... إلى الفطرة ...إلى التوحيد ... إلى الميزان.

لكن الابتلاء حتميّ" ... أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ" هكذا بسهولة؟

"وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم"

بلاء ... زلزال ... خوف ... جوع ...

"زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ: مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟"

وانظر إلى غزة ... فيها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... ثبتوا حين زُلزل غيرهم ... وباعوا أرواحهم حين اشترى الآخرون الحياة الدنيا ... أرضٌ زُلزلت ... وشعبٌ يتساءل : متى نصر الله؟

ومع ذلك ثبتت قلوبهم ... وصمدت ... وبمثل هذا الصبر ... تتحقق كلمة الله ... ويجيء النصر ... فالنصر لا يُولد من الراحة ... بل من المعاناة والإيمان والصبر الجميل ...وإذا ثبتت القلوب في ساعة الزلزال ... جاء الوعد الصادق :-

"أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ".

ثم تأتي الخاتمة لتضع المؤمن على درب الصدق :-

"يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ"...

فلا يكفي الإيمان بالكلام ... بل لا بد من البذل ... من الإنفاق ... من الوقوف مع المظلوم ... ومن نصرة أهلنا الذين يتساقط عليهم القصف ... ولا يتساقط إيمانهم.

مائدة الزيف وموائد الجوع

من اية 218 – 225

يسألونك عن الخمر والميسر ... عن تلك اللذائذ المزيفة التي تخدّر الوعي ... وتسكب ماء الكرامة تحت أقدام الترف والسُّكر والعبث ... فقل" ... فيهما إثمٌ كبيرٌ" ... وإثمٌ أكبر حين يتحوّل السكر من كأس إلى قرار ... والميسر من نردٍ على طاولة إلى مستقبل تُقامر به أمّة بأكملها!

في هذه الآيات ... يُربّينا القرآن كما ربّى جيلًا ناشئًا على أعين الله ... خطوة بخطوة ... يُطهّره من عادات الجاهلية لا بالعصا ... بل ببصيرة الحق ... واليوم كم نحن بحاجة لهذا المنهج ... إذ نرى من يُبرّر الصفقات مع أعداء الأمة ... ويُزيّنها بزينة "المنفعة ... "كما زيّنوا الخمر والميسر يومًا ... ناسين أن الإثم أكبر من كل زينة!

يسألونك عن ماذا يُنفقون ... قل العفو ... ولكن العفو اليوم لا يُصرف على أطفال المخيمات ولا جرحى المقاومة ... بل يُبذر في مواكب الكراسي والمؤتمرات ... ويُزفّ للعدو على بساط أحمر ... في حين يُزفّ أبناء غزة إلى القبور على بطانيات الدم.

ويسألونك عن اليتامى ... قل إصلاحٌ لهم خير ... فأين هم من أيتام غزة الذين لم يعد لهم لا أبٌ ولا بيتٌ ولا وطنٌ ... الذين أُكلت أموالهم ... وضُيّعت طفولتهم ... ولم تُصلح أحوالهم ... بل زادها الصمت العربي فسادًا ... والازدواجية عفنًا.

تأمل هذا الميزان الرباني :– "يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ..."

فهل تفكّرنا ... أم أننا نتدبر النصوص ونوقّع ضدها ... نُقيم مؤتمرات المصالحة في ذات الوقت الذي نُصافح فيه قاتل الأطفال ومُدمّر المدن ... على طاولات فيها من الزيف ما يطغى على ميسر الجاهلية.

إن القرآن لم يحرّم الخمر فجأة ... بل ربّى النفوس لتدرك قُبحها ... تمامًا كما يجب أن تُربّى النفوس على قُبح الذلّ والولاء لمن لا يرى فينا إلا تابعًا ... فهل نحتاج لآيات جديدة تقول :–

"قل : فيهم إثمٌ أكبر، وإثمهم في التطبيع أعظم ... ونفعهم كسراب بقيعة"؟

ما بين مَن يضع يده في يد القاتل، ... ومن يُلقي الفُتات في حضن الظالم ... تبقى غزة ميزان الحق ... فمن خذلها خذلته السماء ... ومن نصَرها وإن بكلمة ... عاش عزيزًا لا تهزه الموائد ولا تُسكره الكؤوس.

"بيتٌ على أساس الرحمة ... لا على شفير الخصام"

من اية 226 – 242

يفتح الله لنا في هذه الايات بابًا لفهم عميق لمؤسسة الزواج ... لا كعقدٍ قانوني جامد ... بل كميثاق إنساني مقدّس ... تُراعى فيه القلوب قبل الحقوق ... والنفوس قبل الأوراق.

في هذه الآيات ... نجد تدرّجًا عجيبًا في تشريع العلاقة بين الرجل والمرأة ... بدءًا من الهجر والطلاق ... إلى العدّة ... والرضاعة ... والنفقة ... والميراث ... والعدة بعد وفاة الزوج ... لكن في كل مرحلة ... يظل القاسم المشترك ... (العدل والرحمة).

فالرجل الذي يُقسم أن يهجر زوجته ... يُمهل أربعة أشهر ليراجع نفسه ... فإن رجع ... فبإحسان ... وإن طلّق ... فبإحسان .

والمطلقة تُكرّم بعد الطلاق ... لا تُهان ... ولها عدّتها ... وحقّها في النفقة ... بل وحتى في متاعٍ يُهدى لها ... حتى لا تُخرج من العلاقة مكسورة الظهر ...والأمّ تُكرَّم بحقّ الرضاعة لعامين كاملين ...والرجل يُذكَّر أن هذا ليس تفضّلًا ... بل واجبًا شرعيًا ...والمُطلَّقة ... إن أرادت الزواج من آخر ... فلا يحقّ لأحد أن يمنعها ... فكرامتها محفوظة ... واختيارها محترم.

تأمّل هذا التشريع ... ثم انظر لواقعنا اليوم ...انها خريطة واضحة لعلاقة سليمة ...الطلاق ليس إعلان حرب ... بل مرحلة انتقالية تُدار بالحكمة ...المرأة ليست سلعة تُستردّ أو تُنتقم منها ... بل كيان له كرامته وألمه وحقوقه ...والأب لا يُحاسب فقط على "النفقة ... "بل على النية والمعاملة ... كما قال تعالى:–

"فإن أرادا فصالًا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما"

لا إجبار ... لا تهديد ... بل تشاور ...في زمن تُهدر فيه أموال الأمة في اللهو ... وفي الوقت الذي تنشغل فيه بعض المجتمعات بترف العلاقات وهدر المال على الخلافات ... ويُهدم فيه بيوت غزة على رؤوس النساء والأطفال ... عائلات كاملة في غزة قد مُسِحت من السجل ... ولم يبقَ من بعضها إلا الأسماء على الجدران ... هذه الآيات تذكّرنا أن بناء البيت المسلم يبدأ من القلب ... لا من السقف ... من المسؤولية ... لا من الذكورية ... من الرحمات ... لا من القوانين وحدها.

فمن لم يُقِم العدل في بيته ... لن يُقيمه في مجتمعه ... ولن يُنصر في معاركه.

"كذلك يُبيّن الله لكم آياته لعلّكم تعقلون".

فيا أمة العدل ... أفيقوا قبل أن تُمحى بيوتكم لا من الدفاتر ... بل من رحمة الله ... اللهم ارحم عائلات وبيوت غزة المكلومة ... واستر على عائلاتنا ... وارزقنا الصبر والرحمة والجنة.

نور الفهم ... في زمنٍ خفتت فيه البصائر

من اية 243 – 254

في هذه الآيات من سورة البقرة ... يُنادي الله قلوبنا قبل عقولنا ... ويأخذ بأيدينا لنفهم أن شريعة السماء لم تُنزَّل لتقييد الإنسان ... بل لتحريره من الجهل والظلم والطغيان.

يبدأ المقطع بقوله تعالى : –

"كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" [البقرة: 242]

وكأن الله يخاطب الضمائر الغافية ... تفكّروا، ... اعقلوا، ... لا تمضوا في الحياة على عشوائية الهوى.

ثمّ يدخل بنا في عالم الإنفاق ... بقوله تعالى: –

"يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ"

وكأن الآية تصف غزة اليوم ... فكم من يتيم فقد أمه تحت الركام ... وكم من مسكين لا يملك قوت يومه ...ومع ذلك ... تُهدر أموال المسلمين في الزينة الفارغة ... والحفلات ... واللهث وراء رفاهية فارغة ... بينما أهل الرباط في غزة ينفقون دماءهم فداءً للكرامة !! ...

ثم تقرر الآيات أن الخير لا يضيع ... وأن الله يعلم حجم الألم والبذل ... فتقول : –

"وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ"

فلا تحقرنّ صدقة ... ولا تستخفّ بدعاء ... فإن الله يرى ما في القلب ... ويزن النوايا قبل النقود ...ثم يُذكرنا الله بحقيقة الزمان :–

"كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ"

وهل كان أهل غزة يتمنّون الحرب ...لكنها كُتبت عليهم، كما كُتبت على من قبلهم ... فصبروا ... وآمنوا أن ما يكرهه الجسد ... قد تحبه الروح

"وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ."

وفي قلب هذا المقطع ... نصل إلى آية عظيمة ... تُقوّي أرواح المؤمنين في زمن المذلة والانكسار -:

"ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ" [آية الكرسي]

فالله لا ينام عن دموع الأمهات ... ولا يغفل عن أجساد الأطفال تحت الأنقاض ...هو الحيّ القيّوم ... يسمع أنين المساجد التي دُمّرت ... ويرى وجع الأرض التي صارت مقابر جماعية.

ثم تختم هذه السورة العظيمة هذا المقطع بنداء عظيم :-

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم... "

نداء ... لا لجمع الزكاة فقط ... بل لتحريك الضمائر ... لإحياء الإنسانية ...فهلّا أنفقنا مما في قلوبنا من رحمة ... قبل أن ننفق مما في جيوبنا من فتات ...وهلّا عقلنا آيات الله ... قبل أن يعقلنا التاريخ بقيود العار؟

في غزة ... هناك أطفال لا يعرفون من الحياة سوى سواد السماء ... ونساء يدفنّ أبناءهن بأيديهن ... وعائلات كاملة مُسحت من السجل ... وبيوت هُدمت ... فلم تبقَ إلا أكفّهم مرفوعة تقول :-

"ربنا، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا... "

نورٌ من السماء ... وقلوب تغرق في العتمة

من اية 255 - 276

في قلب سورة البقرة ... تتجلّى أعظم آية في كتاب الله :-

"اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" [آية الكرسي]

هو الحيُّ الذي لا تموت رحمته ... والقيّوم الذي لا تغفو عدالته ...هو مَن يرى الأطفال في غزة ينامون على صراخ القنابل ... ويُمسك بروح أمٍّ شهقت وهي تُودّع ولدها الشهيد ... ويعلم ما تخفي الأرض من دماء وما تجهش به السماء من دعاء.

ثم تأتي الآيات لترفع عن المؤمنين الحرج ... ولتعلّمهم أن لا إكراه في الدين ... ولا في الفكر ... ولا في الرحمة ...

"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"

لكن ... في عالم اليوم ... نرى من يُكره الشعوب على الخضوع ... ويُجبر المظلوم على السكوت ... ويقهر الأرواح بالحديد والنار.

ومع ذلك ... فإنّ نور الله لا يُطفَأ ...

"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ"

نعم ... في كل خيمة تهدمت ... في كل رضيع بغير حليب ... في كل حجر تهشّم ... هناك نور ...نورٌ من صبر أهل غزة ... من تكبيراتهم تحت الركام ... من دمعة أمٍّ ما زالت تقول :- **"الحمد لله."**

ثم تحذّر الآيات من الطغاة ... من الذين جعلوا المال ربًّا ... وتاجروا بأرواح الناس ... فصارت المعاملات حبالًا حول رقاب المستضعفين :-

"الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ"

أليس هذا حال العالم اليوم ...أموال طائلة تُبذَر على الترف والمهرجانات ... بينما في غزة ... لا ماء ... لا طحين ... لا دواء ...في العالم بنوك تتفاخر بأرباحها ... وأمهات في الشجاعية لا تجد كفناً لرضيعها ... لكن الله لا يترك عباده في الظلام ...

"يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ"

فما تظنّه صغيرًا من عطائك ... قد يُنبت ألف حياة ...وما ترسله من صدقة ... ربما كان سببًا في بقاء قلب نابض تحت الأنقاض.

فيا أبناء الأمة ... أنفِقوا ... ليس من أموالكم فقط ... بل من إنسانيتكم ... من وقتكم ... من صلواتكم ...أحيوا قلوبكم قبل أن تموت غزة ... أحيوا ضمائركم قبل أن يُمحى التاريخ.

في غزة ... هناك بيوت هُدمت ولم تبقَ منها إلا رائحة أهلها ... وعائلات بأكملها مُسحت من السجلات ... لكن في السماء ... ما زالت أسماؤهم تُكتَب في ديوان الصادقين.

"

نورُ اليقين في زمن العُسر والخذلان"

من اية 277 – 286

في زمنٍ تطغى فيه الماديات ... وتُقاس النفوس بميزان المال والقوة ... نُعيد السمع والبصر إلى كلمات الله في خواتيم سورة البقرة ... إلى من جعلوا الإيمان والإنفاق في سبيله طُهرًا للقلوب وطمأنينةً في الدنيا قبل الآخرة :–

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ..." (البقرة: 277)

أيّ طمأنينةٍ أعظم من أن يكون أجرك عند ربّ كريم ... لا يُنسى ... ولا يضيع ... ولا يساوم؟

وفي المقابل ... يفضح الله الربا ... هذا الداء الذي ينهش جسد العالم ... يوسع فجوة الفق ... ويبني القصور على جثث المعدمين ... فيقول :–

"يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ..." (البقرة: 276)

انظر كيف يُربّي الله الصدقات ... كيف ينمّيها ويُبارك فيها ... في وقتٍ نرى فيه دولًا تُنفق المليارات على صفقات الموت ... فيما أطفال غزة يحفرون في التراب عن رغيف ... ونساؤها يجففن دمعهنّ بخشوع العابدين ... لا يسألن إلّا الله ... ولا يثقن إلا بعدله.

ثم تختم السورة بنداء حانٍ يضمّنا نحن ... نحن المبتلين بالعجز والخذلان ... نحن الذين ضاقت بنا الأرض بما رحبت :–

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..." (البقرة: 286)

نعم ... لن يُحمّلك الله فوق طاقتك ... وإن سقطت يومًا فسيحملك بدعائك ... بإيمانك ... بـ"ربَّنا لا تؤاخذنا ... واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا".

في غزة ... لا يُرابي الناس ... بل يُنفقون ممّا يُعانون ... ويتصدّقون بحبات الزيتون وفتات الخبز ... وهم الأعلون ... لا بالمال ... بل بالإيمان.

وفي العالم ... كثُر من استبدلوا "الزكاة" بالأسهم ... و"الرحمة" بالعقوبات ... فمُحقت أموالهم وإن ظنّوها تتضخّم.

يا رب ... إنك قلت :- "**أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**"

وإنّا نقولها من قلوبنا ... قلوب أمهات غزة ... وأرواح أبنائها تحت الركام ... ونقولها من فوق خرائط العالم ... التي رسمتها المصالح ... لا الرحمة.

"على هدي البقرة ... نسير"

ها نحن نطوي صفحات هذا الكتاب، التي لم تكن مجرد تأملات في آيات، بل كانت شهقة وجع من قلب غزة، وزفرة صدق من بين أطلال البيوت، وهمسة رجاء على شفاه الأمهات الصابرات.

قرأنا في سورة البقرة عن الصلاة والزكاة، عن الربا والإنفاق، عن الحقوق والمواريث، عن الجهاد والدعاء، وكل آية كانت نبضًا من نبضات الحياة، لا حبرًا على ورق. كانت سورةً نزلت لتقيم العدل وتزرع الرحمة وتُحذّر من الظلم، وها نحن نراها تعيد رسم واقعنا بحروف من نور، وتفضح الظلم الذي يلبس ثياب الشراكة والمعاهدات.

غزة كانت الشاهد الحيّ، كانت التفسير الأبلغ ... فحين تُبنى الأبراج في عواصم المال، يُهدم بيتٌ في حيّ الشجاعية. وحين تُوقَّع الاتفاقيات مع العدو، تُمحى عائلة كاملة من سجل الحياة دون أن تترك خلفها حتى شاهدة قبر.

لكننا نؤمن، كما علمتنا سورة البقرة، أن الله لا يُضيع أجر المحسنين، وأن كل دمعة وصرخة وركعة تحت القصف محسوبة عند من لا ينسى.

نؤمن أن العاقبة للمتقين، وأنَّ "الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور"، وأنّ ما بعد العسر إلا يُسر، وما بعد البقرة إلا فتح ونصر.

ولعلّ هذا الكتاب، بكل ما حمل من خواطر ودروس، هو دعوة للعودة إلى كتاب الله ... لا لنقرأه فحسب، بل لنعيشه، ونُقيم به العدل، ونردّ به الحقوق، ونواسي به المظلومين.

اللهم اجعل هذا العمل صدقةً جارية، وذكرى لا تُنسى، في زمنٍ نسي فيه كثيرون أن القرآن لم يُنزّل للرفوف، بل للقلوب والطرقات والمواقف.

"في كل آية من سورة البقرة، مرآةٌ لوجع غزة، وهمسُ عدلٍ مفقود في هذا العالم المضطرب.

هذا الكتاب ليس تفسيرًا فقط ... بل صرخةُ ضمير، وحنينٌ لأحكام السماء التي ضيّعها أهل الأرض.

بين سطور الآيات، دمعة يتيم، ودعاء أمّ، ونداء حقّ ... لعلّ القلوب تعود، ولعلّ العدالة تقوم".